# أعلام خدموا العربيّة:

# العالم العراقيّ عبد الحميد الرشوديّ (١٩٢٩- ٢٠١٥م )

أ.د. نادية غازي العزّاويّ

## توطئة

**ولد الأستاذ المحقق عبد الحميد الرشوديّ في كرخ بغداد عام ١٩٢٩م، ونشأ نشأة علميّة رصينة، على القراءة الجادة للكتب التراثيّة التي تهيأت له في مكتبة العائلة، فضلاً عن متابعاته الدؤوبة لمسارات الحياة الثقافيّة في العراق والبلدان العربيّة، وما تضخّه المطابع من إصدارات تابعها بالقراءة النقديّة الفاحصة، حصل على شهادتين جامعيتين: الأولى من كلية الحقوق عام ١٩٥٣م، والثانية من كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، عام ١٩٦٧م. لمع اسمه منذ خمسينيات القرن الماضي، بمقالاته النقديّة وبما تعهّد من تحقيق مؤلفات الشاعر معروف الرصافيّ، ونتاجه و أخبار سيرته، وظل مواظباً على هذه المسيرة حتى وفاته عام ٢٠١٥م(١). امتاز بسمو النفس، ونزاهة اليد واللسان، والحرص على استقلال شخصيّة العالم عن أيّة مؤثرات سياسيّة أو موجّهات أخرى، والابتعاد عن الأضواء المزيّفة، زاهد عن بهرج الدنيا ومتاعها، منصرف إلى مشروعه العلميّ البحثيّ بالقراءة والكتابة، وقد ترك وراءه رصيداً من المراجع النفيسة التي تمتاز بالدقة وحسن الضبط، ومن أبرزها:**

١- ذكرى الرصافي – بغداد ١٩٥٠.
٢- آراء أبي العلاء المعريّ للرصافيّ، تقديم وتحقيق – بغداد ١٩٥٥.
٣- الأدب الرفيع للرصافيّ إشراف وتصحيح – ط١ ١٩٥٦،ط٢ ١٩٦٩.
٤- الزهاويّ دراسات ونصوص – بيروت – مكتبة الحياة ١٩٦٦.
٥- مقالات فهمي المدرس ج٣بالمشاركة – مطبعة أسعد ١٩٧٠.
٦- المحفوظات المدرسية للمدارس الابتدائية ١٩٥٥.
٧- ابراهيم صالح شكر حياته وآثاره بالمشاركة –بغداد ١٩٧٨
٨- الألة والأداة للرصافيّ تحقيق وتعليق، ط١ بغداد١٩٨٠، والطبعة الثانية ٢٠٠١ القاهرة.
٩- الرصافيّ حياته – آثاره- شعره، ط١ بغداد ١٩٨٨،ط٢ دار الجمل ٢٠١١.
١٠- مصطفى علي حياته وأدبه، بغداد ١٩٨٩.
١١- الرسائل المتبادلة بين الرصافي ومعاصريه، ط١ بيروت ١٩٩٤،ط٢ مؤسسة المدى ٢٠٠٩.
١٢- تحليلات عروضيّة لشعر الجواهريّ – بيروت ٢٠٠٢.
١٣- الرصافيّ خطيباً، دار المدى ٢٠١٤.
١٤- بغداد في الشعر العربي المعاصر، دار المدى، ٢٠١٤.
١٥- تراث الرصافي النثريّ بالمشاركة، دار الجمل، ٢٠١٣.
١٦- تراث الزهاويّ النثريّ بالمشاركة.

**ملامح من منجزه:**

تتضح ملامح منهجه في المجالات التي برّز فيها، و هي:

١- تحقيق نوادر النصوص، وقد أسدى خدمات علميّة جليلة بنشر تراث الرصافي النثريّ وتآليفه، وتراث الزهاويّ النثريّ: مقالاته، ونصوصه التي لولا تنبهه إليها، ونهوضه بعبء جمعها من المجلات والصحف القديمة، لظلت بدداً مشتتة منسيّة، لا يعلم عنها الدارسون شيئاً، بالرغم من القيمة العلميّة والتاريخيّة التي تنطوي عليها. كتب عن رسائل الرصافي: (وقد كان جمع الرسائل المتبادلة، بين الرصافي ومعاصريه هاجسي منذ سنين خلتْ، وهمي المقيم المقعد، وكان من كلفي بتتبّع آثار الرصافيّ، وشغفي بتقصّي أخباره، أنْ وقع لي جمهرة صالحة من الرسائل، التي دبجتها يراعته، أو مما كتب به إليه بعض الفاضلين الأماثل من معاصريه،

وهي في جملتها ليست بذات طابع شخصيّ محض، بل فيها ما تضمن موضوعات عدة، في ضروب شتى من العلم والمعرفة، منها ما يتصل بعلم النحو أو الكلام أو العقائد، ومنها ما يتصل من قريب أو بعيد بسياسة البلاد وأوضاعها الاجتماعية، وفيها ماهو ذو طابع إنساني )(٢). وتتجلّى في تحقيقاته جهوده المتميّزة في التوثيق، والبحث عن كل الموارد التي يمكن أن تعزّز المعلومة، أو ترفدها بجوانب تجلو أبعاد الموضوع على نحو أوضح، بمتابعة لا تعرف اليأس، كما يتضح - مثلاً- في وقفته على رسالة من تأليف الرصافي بعنوان: (دفع المراق في كلام أهل العراق)، فقد روى الآتي: ((وقد ذكر لي الأستاذ المرحوم مصطفى أنّه قام في أوائل سنة ١٩٤٧ بنقل الفصول التي نشرتها مجلة (لغة العرب)،وجريد (حبزبوز)،وأنّه ضمّ إليها فصولاً وجدها بين أوراق الرصافي المبعثرة التي عمل على تصفيتها وتنسيقها في أواخر ١٩٤٤،كما ذكر لي أنها لاتكمل الكتاب، وحين سلّمني – رحمه الله-، نسخته هذه حاولتُ أن أبحث عن بقية الكتاب، وذلك عن طريق أقرباء نوري ثابت، فلم أحظ من أحد بجواب شافٍ، هذا ولعل الأيام تسعفنا فنعثر على الفصل الضائع)(٣). وأوضح بين يدي كتابه عن الزهاويّ، الجهود المضنية التي بذلها لجمع هذه الدراسات والنصوص، قائلاً: ((وسيلمس المنصفون مدى ما لاقيتُ من رهق وعناء في سبيل جمع هذه الاضمامة الأدبية، التي لم تكن حتى الأمس القريب إلاّ شتاتاً متناثرة في الكتب، وفصولاً منبثة في صحف العراق والبلاد العربيّة في أقطارها وأمصارها، وهي من الكثرة بحيث إذا عُدّتْ تقوّم بالعشرات، بل بالمئات، وهذا عمل – لعمري- تنوء به العصبة أولو القوة)(٤). وحرصه العلميّ هذا يستند إلى أمانة علميّة عالية عرف بها، مرتبطة بوعيه العميق بالمسؤولية التاريخيّة الملقاة على عاتق الباحث، لإماطة اللثام عن الأسماء المنسيّة والجهود المهدورة، إحقاقاً للحقّ وإنصافاً للفكر: (فإنّ من حقّ الجيل الجديد علينا، أن نعرّفه بهؤلاء الرواد الذين عبّدوا الطريق أمام نهضته الحاضرة، وأزالوا عنها الصخور، واجتثوا الأشواك، ليسير في طريق لاحب، وقد أمن العثار والضلال. وإنّ من الوفاء لأولئك الرجال الذين تحمّلوا من عنت معاصريهم، وما كانوا يصكّون به مسامعهم من الطعن واللعن وقوارص الكلم، أن ننوّه بذكرهم، ونعترف بفضل سابقتهم في بناء حياتنا الفكريّة والوجدانيّة، وتوجّهها الوجهة الصحيحة التي تضمن للأمة حياة سعيدة رغيدة، وترقى بها إلى معرج التطور والرّقيّ)(٥).

٢- ملاحظاته التي سطّرها على الدراسات والبحوث، تصحيحاً أواستدراكاً على المؤلفين والمحققين،بمعلومات ثمينة جداً،تسعفه في ذلك حافظة يقظة غزيرة، وقراءة دقيقة ومتابعات ومفاتشات في المصادر والمظان، زدْ على ذلك علاقاته الاجتماعية بالأسر البغدادية والشخصيات البارزة في المجتمع، فهي حافلة بالأسرار والدقائق المنسيّة، على مستوى أخبار الأدباء، وأنساب الأسر البغداديّ، وأحوال المجتمع، والأحداث السياسية، بثوراتها وانتفاضاتها، وتواريخ قيام الوزارات، وسقوط المعاهدات.... وغيرها، مع العناية الملحوظة بوصف الأمكنة وتحديدها جغرافيّاً، والشواخص العمرانيّة وتحولاتها، فضلاً عن أسماء المقاهي والجسور والنصب والتماثيل والمستشفيات والملاهي، والمغنين، والفرق الموسيقية وسواها من قسمات المدينة التي تحيا عميقاً في وجدانه. ×× علّق على ما ورد في كتاب الأديب الصحفيّ (خالص عزمي) (هوى بغداد) وهو يعرّف بشواهد العاصمة قوله: (مستشفى العرناء أو العزل)، فما كان من الرشودي إلاّ أن تدخل مصحّحاً وموضّحاً: (والصواب أنّ مستشفى العرناء كان يقع على شاطئ قمريّة، وقد تحوّل في الثلاثينيات إلى مدرسة تطبيقات دار المعلمين، ثم حوّل بعد ذلك إلى العيادة الخارجية لمستشفى الكرخ، أمّا مستشفى العزل فيقع في محلة الدوريين قريباً من مقبرة الحلاّج، وكان قد أسّس للمصابين بالأمراض المعدية كالسلّ والجذام والجرب، ثم طوّر بعد ذلك وصار يدعى مستشفى الكرامة، وهو اليوم أكبر مستشفيات الكرخ وأرقاها)(٦).

وتقدّم ملاحظاته معلومات ممتازة

عن الكتب والمطبوعات، بعنوانات لنوادر المجلات والصحف العراقية والعربية، وأماكن صدورها ومطابعها، وأعدادها وتواريخها، وحالات توقفها واسباب تعطيلها، إلى غير ذلك من معلومات ثمينة، تصلح أن تكون مباحث مستقلة في تاريخ حركة الطباعة في البلاد العربيّة، بل هي بحقّ قطعة مهمة من التاريخ الأدبيّ العربيّ الحديث (٧)، وما يتصل بها من شؤون المطابع ودور النشر، موثّقة باليوم والشهر والسنة، ممّا يفيد أي دارس لتاريخ الطباعة في العراق والبلاد العربية، من ذلك ماذكره عن (أنور شاؤول) ودوره الرائد في هذا المجال: (وفي عام ١٩٢٩ استحصل إجازة من وزارة الداخلية، لإصدار مجلة باسم (الحاصد)، اسبوعية جامعة لصاحبها ورئيس تحريرها المسؤول أنور شاؤول، وقد صدر عددها الأول يوم الخميس ١٤ شباط ١٩٢٩ ،وبعد تخرّجه في مدرسة الحقوق سنة ١٩٣١، جعل عنوانها: (صحيفة سياسية أسبوعية جامعة )... ونظرة فاحصة عليها تدلّ على مستواها الأدبيّ والعلميّ الراقي، وقد استمرتْ في الصدور بانتظام سبع سنوات كاملات، تخللتها سنة احتجاب واحدة... ثم احتجبت بمحض اختيارها في ٣١ آذار سنة ١٩٣٨م. وقد أشار إليها الفيكونت فليب دي طرازي في كتابه (تاريخ الصحافة العربية ) – الجزء الثالث ص٨٤. وكما خدم الأدب والصحافة، فقد أسدى إلى فنّ الطباعة في العراق يدًا بيضاء، فعندما أسس شركة التجارة والطباعة المحدودة، وكان قد استورد مطبعة حديثة، وتشهد الكتب التي طبعت فيها على أنها مطبعة عصرية راقية، طوّرتْ فن الطباعة في العراق، وقد تولت هذه المطبعة طبع كتاب (تاريخ العراق بين احتلالين)، و(تاريخ النقود)، و(تاريخ الموسيقى عند المغول) و(الكاكائية في التاريخ) و(مجموعة عبد الغفار الأخرس)، وكلها للمؤرخ الأستاذ عباس العزاويّ، وهناك كتب كثيرة أخرى لمؤلفين آخرين ) (٨). فضلاً عن عنايته بكشف صفحات مطوية من دقائق تواريخ المؤسسات الثقافية: الجامعات، الندوات، الجمعيات.... وغيرها، على المستويين المحليّ والعربيّ معاً، وبما ينمّ عن متابعاته وكثرة اطلاعه على كلّ ما يمتّ للحياة الثقافيّة.

ج- التصحيحات المنهجيّة واللغويّة والنحويّة، مما فات المؤلفين – وفيهم أسماء لامعة – يقصد من ورائها الفائدة العلمية للمؤلف والقارئ، وليس لغايات أخرى شخصية كما أكد في غيرما موضع من مؤلفاته: (إنّ الإسراف في إحصاء المآخذ، وتصيّد الزلاّت ورصد العثرات، وبخاصة مع شخص قامتْ بينك وبينه خلافات وسوء فهم، لايمكن أن يحمل على محمل حسن النيّة، فهو أسلوب يفقد البحث موضوعيته وحياده، وهما دثار الناقد وشعاره) (٩). وتتنوع هذه الملاحظات في مادتها بين الآتي:

١- نسبة الشواهد الغُفل، أو تصحيح نسبتها إذا وقع وهم للمؤلف، ولاسيما الشواهد الشعريّة، معزّزاً رأيه بالإحالات. ليس الشواهد المشهورة المتداولة، فهذه أمرها قريب، واستخراجها من مظانّها هيّن وسهل، ولكنه يعنى بنسبة الشواهد النادرة، ومن مصادر غير متوافرة بكثرة، وأحياناً لأسماء غير مشهورة كثيراً في عالم الشعر. (١٠).

٢- خدمة الشاهد بالمعلومات التوضيحيّة. وقد أبدع أيما إبداع في تعليقاته على معجم (الآلة والأداة) للشاعر معروف الرصافيّ الذي تولى تحقيقه، فكانت هوامشه أحياناً تنافس متن الرصافيّ في قيمة ما تقدّمه من معلومات، غربلها من تنقيره في المراجع والأصول، تسعفه ذاكرة يقظة تستحضر الأشباه والنظائر في مواضعها المناسبة. من ذلك – مثلاً- قوله على البيت الذي أورده الرصافي في بعض الموا ضع:

**من يكُ ذا بتٌّ فهذا بتّي**
**مصيّفٌ مقيظُ مُشتَ**

(يُنسب هذا البيت لرؤبة بن العجاج، وهو من شواهد سيبويه:٢٥٨/١، وكذلك استشهد به ابن عقيل في شرحه على ألفية ابن مالك، في معرض جواز تعدّد خبر المبتدأ الواحد)(١١).

٣- تصحيح الأخطاء النحويّة والصرفيّة والعروضية والإملائية، وتوثيقها بالإحالة على المراجع اللغوية. قال في بعض المواضع مصححاً كلام أحد المؤلفين: (جاء في ص٨ "من ألّف فقد استُهدف "، وقد ضبط الفعل بضم التاء وكسر الدال على صيغة مالم يُسمّ فاعله، والصواب بفتح التاء والدال، فالفعل هنا مبنيّ للمعلوم، وهو يعني أنّه نصب من نفسه هدفاً لسهام الناقدين.جاء في (تاج العروس):هدف: وقولهم:من

صنف فقد استهدف، أي انتصب". ومن هذا الوادي قولهم: (وقد أعذر من أنذر)، بصيغة ما لم يُسمّ فاعله، والصواب بناؤه للمعلوم، أي دخل في واسع العذر)(١٢). والنصّ القرآنيّ والشاهد الشعريّ، حاضران أيضاً بين يديّ تعليقاته اللغوية. قال معلقاً على بيت الشاعر (ابراهيم الوائليّ): والزارعين ودون ما جهدوا به رَصَدٌ يُبثّ لهم من الأشراك. (الرصد بفتحتين: القوم يرصدون كالحرس،يستوي فيه الواحد والجمع، والبثّ: الحال والحزن، وفي التنزيل العزيز: " قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله" (يوسف ٨٦) (١٣).

ونقده اللغويّ عامة لايتناقض مع مفهومه الرحب للغة، والحاجة الماسّة إلى تطويرها وتحديثها، كما أكد في أحد تعليقاته على معجم (الآلة والأداة): (فحسب الرصافيّ فضلاً وفخراً، أنّه تنبّه إلى حاجة الأمة إلى وضع مثل هذا الكتاب في وقت مبكر، فندب نفسه لسدّ هذه الثغرة، بروح اللغويّ المترخّص المتفهّم لحاجات العصر، ومطالب المدنيّة والعمران، فهو يرى أنّ نماء اللغة لايتمّ إلاّ بفتح باب الاجتهاد اللغويّ، الذي أوصده الجمود والتخلف دون مجاراة اللغة للتيارات الحضاريّة المستجدّة، مع تجدّد وتعدّد حاجات الإنسان، واستبحار العمران)(١٤). فالشقّة بعيدة برأيه بين تطوير يحافظ على أصول اللغة وأسسها وخصائصها البنائيّة، وبين العبث والعشوائية في التعامل معها إلى حدّ الاستهانة بكلّ ثوابتها، وفتح باب التغريب على مصراعيه، على نحوٍ غير مدروس، وبما يهدد بطمس هويتها وتلاشيها.

رحم الله الرشوديّ، العالم النزيه المخلص، ذو القلم الأدبيّ الرشيق المُبين، وأحد عشّاق العربيّة وسدنتها في عصرنا.

## الهوامش والمراجع

١- ينظر: مقال الناقد (شكيب كاظم ) ( عبد الحميد الرشودي يدرس حياة الرصافي وآثاره وشعره )، جريدة التآخي، بغداد، ٢٤-١٠-٢٠١٣م، منشورعلى موقع شبكة النت.

و ينظر أيضاً:مقال الأستاذ (رفعة عبد الرزاق محمد) (عبد الحميد الرشوديّ... شخصيات في حياته)، جريدة الصباح، بغداد ٩- ١٢-٢٠١٥م، محمول على شبكة النت.

٢- رسائل الرصافي،جمعها وتحقيق عبد الحميد الرشودي،دار المدى، ط١، ٢٠٠٩م:٧.

٣- الرصافيّ (حياته، آثاره، شعره)، عبد الحميد الرشوديّ، ط١، ١٩٨٨م: ص١١٣.

٤- الزهاوي (دراسات ونصوص)، جمع وتحقيق عبد الحميد الرشوديّ، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٦م: ١٩.

٥- مصطفى علي (حياته وأدبه)، عبد الحميد الرشوديّ، بغداد ١٩٨٩م: ٧-٨

٦- مقاله المنشور في جريدة الزمان، ٢٨- ١٢- ٢٠١٤(تصحيحات واستدراكات على لواعج مؤلف)، منشور في شبكة النت. ×× وتنظر -على سبيل التمثيل -: مقالاته المهمة المنشورة في ملاحق جريدة المدى، ضمن سلسلة (ذاكرة عراقية)، وهي محمولة على شبكة النت.

٧- تنظر: رسائل الرصافي : ١٧٦- ٢٠٢.

٨- مقاله (على هامش الذكرى ٢٨ لرحيله: أنور شاؤول صحفياً )، ملحق جريدة المدى (ذاكرة عراقية)، منشور في شبكة النت.

٩- مجلة الذخائر، العددان ٢١،٢٢، ربيع ١٤٢٥- ١٤٢٦هج /٢٠٠٥، بيروت: ٢٦٠.

١٠- ينظر – مثلاً- :أعلام الأدب الحديث: ج٣/٣٨٥، بغداد في الشعر العربي المعاصر: ٤٨.

١١- الآلة والأداة: ٣٨.

١٢- مجلة الذخائر:٢٥٨.

١٣- بغداد في الشعر المعاصر:٦٩،هامش ١٤٧.

١٤- الآلة والأداة:٤٩٧.